

المبحث الرابع :

طبيعة الاستشراق الأمريكي الحديث وأهدافه

المبحث الرابع

طبيعة الاستشراق الأمريكي الحديث وأهدافه

عندما يتحدث المرء عن طبيعة الاستشراق الأمريكي الحديث وأهدافه، فإنه سيخوض في مجال واسع؛ بسبب كثرة العمل الاستشراقي الأمريكي الحديث، وتنوع مؤسساته ومجالاته، يقول د. مازن مطبقاني: «دراسة الاستشراق الأمريكي أو الحديث عنه يحتاج إلى مجلدات كبيرة»^(١). وقد تحدّث عدد من الباحثين عن الاستشراق الحديث بعامة، والاستشراق الأمريكي الحديث بخاصة. وسيعرض الباحث في المطلبين التاليين أهم ما تميزت به طبيعة الاستشراق الأمريكي الحديث، والأهداف الرئيسة له، مستشهداً على بعض ذلك بأنموذج دراسته: مؤسسة (راند).

(١) بحوث في الاستشراق الأمريكي المعاصر، ص ١٢٠.

المطلب الأول: طبيعة الاستشراق الأمريكي الحديث:

يتسم الاستشراق الأمريكي الحديث بعدد من السمات والطبائع والخصائص، فمنها ما هو امتداد طبيعي للاستشراق الأوروبي، ومنها ما هو من إنشاء الاستشراق الأمريكي الحديث. فالاستشراق الأمريكي الحديث يشترك مع طبائع وسمات غيره من مدارس الاستشراق، ويمتاز عنها ببعض الطبائع والخصائص.

وفيما يلي أهم الأمور التي طبعت الاستشراق الأمريكي الحديث بطابع خاص، بعد تزعمه الاستشراق الحديث في العالم الغربي. وسواء كانت طبيعة شاركة فيها غيره أم كانت خاصة به.

١- انحسار مصطلح المستشرق، وظهور مصطلح الخبير والمختص ونحوهما:

مع بداية الاستشراق الأمريكي الحديث بدأ يأفل نجم مصطلح الاستشراق والمستشرق، ويقل استخدامه، ويتجنب الغربيون ذكره، ويتحولون إلى استخدام مصطلح جديد، وهو (الخبير)، و(المختص) ونحوهما، فيقولون: خبير الشرق الأوسط، والخبير في الشؤون الدينية، والخبير في الشؤون السياسية، أو المحلل السياسي، والخبير الاقتصادي، ومختص باللغة العربية، ومختص بالأدب العربي، ومؤرخ التاريخ العربي، وهي مرادفة للفظ (مستشرق)، ويقولون: (الدراسات الشرق أوسطية)، وهي مرادفة للفظ (استشراق)^(١).

ويتهرب المستشرقون المعاصرون من مصطلح الاستشراق^(٢)، و«لا يرغبون في أن يقال عنهم إنهم مستشرقون، ويجذون أن يقال عنهم أي شيء سوى ذلك... ولا يُعرف الآن إلا عدد قليل من المستشرقين، يفضلون تصنيفهم أو نعتهم بالمستشرقين»^(٣).

(١) الاستشراق لإدوارد سعيد، ص ٤٤، ١١٤-١١٥؛ والاستشراق للزيادي، ص ١٩-٢٠؛ وأزمة

الاستشراق الحديث والمعاصر، ص ٣١؛ والشرق والغرب: محددات العلاقات ومؤثراتها، ص ١١٤.

(٢) أزمة الاستشراق الحديث والمعاصر، ص ١٢٥؛ والشرق والغرب: محددات العلاقات ومؤثراتها، ص ١١٣.

(٣) الشرق والغرب: محددات العلاقات ومؤثراتها، ص ١١٣؛ وينظر: أزمة الاستشراق الحديث والمعاصر، ص ١٢٥.

ومن المستشرقين مَنْ علل سبب رفضه إطلاق وصف (مستشرق) عليه: بأن شخصية المستشرق أصبحت مشؤومة إلى حد ما في الوطن العربي^(١).

وقد أكد المؤتمر الدولي التاسع والعشرون للمستشرقين المنعقد في (باريس) عام ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م على التخلي عن مصطلح (المستشرق)، واستخدام مصطلحات تدل على بعض معانيه^(٢).

وعندما يراجع المرء دليل أعضاء جمعية أمريكا الشمالية لدراسات الشرق الأوسط، الذي يحتوي على ما يزيد عن ألفين وخمسمئة مختص في الشرق الأوسط، يلحظ أنه لم يُعرّف أحدٌ من هؤلاء المختصين نفسه بأنه مستشرق، ولكنه يشير إلى الإقليم والبلد الذي أختص فيه^(٣). يقول إدوارد سعيد: «في الولايات المتحدة الأمريكية... لديك كادر كامل مما يسمى بالخبراء في الوقت الحاضر. وأنا أسميهم «المستشرقين»، الذين تكمن مهمتهم في أن يقدموا عبر خبرتهم بالعالم الإسلامي والعربي إلى وسائل الإعلام والحكومة ما أسميه الاهتمام المعادي بالعالم العربي»^(٤)..هـ.

«وهكذا أصبح استخدام المصطلح الجديد شائعاً منذ النصف الثاني من القرن العشرين، خاصة في الولايات المتحدة الأمريكية، التي تنتشر فيها العديد من مراكز إعداد هؤلاء الخبراء في مختلف المجالات»^(٥).

ولا يعني تغيير اسم الاستشراق نهاية حركته وتوقف المستشرقين عن دراسة الإسلام وتاريخ أمته، كما لا يعني تغيير اسمه تغيير تلك الروح العدائية التي لازمت المسار العام للحركة الاستشراقية وكتابات المستشرقين عن الإسلام وأمته، بل غيّر الاستشراق جلده ليدخل مرحلة

(١) الشرق والغرب: محددات العلاقات ومؤثراتها، ص ١١٥.

(٢) أزمة الاستشراق الحديث والمعاصر، ص ١٢٧.

(٣) المرجع السابق، ص ١٠٣-١٠٤.

(٤) القلم والسيوف: حوارات مع دافيد بارساميان، إدوارد سعيد، ترجمة توفيق الأسدي، ط ٣، (دمشق، دار كنعان، ٢٠٠٧م)، ص ٢٨.

(٥) الاستشراق للزيادي، ص ١٩-٢٠؛ وينظر: الاستشراق لإدوارد سعيد، ص ١١٤-١١٥.

جديدة^(١)، غيّر فيها بعض مناهجه وأساليبه وطريقته^(٢)، فـ «خبراء الشرق الأوسط لا يزالون قادرين على الانتفاع بآثار الموقع الفكري الذي كان الاستشراق يشغله في القرن التاسع عشر»^(٣) (الميلادي/ الثالث عشر الهجري، «المهمة التي كان يقوم بها المستشرقون الأوائل يقوم بها اليوم المستشرقون الجدد وإن اختلفت الوسائل وحورت الأسماء»^(٤)).

ومن يطلع على أقسام الدراسات العربية، وأقسام دراسات الشرق الأدنى والشرق الأوسط، أو مراكز البحوث والمعاهد المتخصصة، يدرك أن الاستشراق مستمر ومتواصل، وأن القوم لم تنقطع صلتهم بالحركة الاستشراقية السابقة^(٥). فالتهرب «من المصطلح لا يعني من استمرار التمسك في المضمون»^(٦).

ويرى عدد من الباحثين أن التنصل من مصطلح (الاستشراق) و(المستشرق) ليس إلا محاولة خداع وتمويه^(٧). وأن الهروب منه لا مبرر له، ولا يغير من الوضع شيئاً^(٨). و«أن هناك «تكتيكاً» جديداً لا يعدو أن يكون استمراراً لفكرة الاستشراق ومنهجه، ولكن مع محاولة تغيير

(١) تميز الأمة الإسلامية مع دراسة نقدية لموقف المستشرقين منه، د. إسحاق بن عبد الله السعدي، سلسلة الرسائل الجامعية (٤٩)، (الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٢٦هـ) ٢٩٩/١؛ وينظر: الاستشراق المعاصر، ص ١٣.

(٢) الاستشراق المعاصر، ص ١٣.

(٣) الاستشراق لإدوارد سعيد، ص ٦٨.

(٤) الاستشراق في الأدبيات العربية، ص ٣٩.

(٥) الاستشراق المعاصر، ص ١٣.

(٦) الشرق والغرب: محددات العلاقات ومؤثراتها، ص ١١٨.

(٧) أزمة الاستشراق الحديث والمعاصر، ص ٢٧؛ وتميز الأمة الإسلامية مع دراسة نقدية لموقف المستشرقين المستشرقين منه ٢٩٩/١.

(٨) أزمة الاستشراق الحديث والمعاصر، ص ٢٨.

المصطلح طمعًا في القبول وكسبًا للوقت بحيث لا يعرف مفكرو المسلمين حقيقة هذا المصطلح حتى يكون قد قطع شوطًا غير يسير في تحقيق أهداف الاستشراق»^(١).

ويضيف أ.د. محمد خليفة حسن رأيًا آخر يرى أن التغيير في الاسم «ليس مبنياً فقط على أساس من موقف عاطفي تجاه التسمية ولكنه مبني على أساس من رغبة حقيقية لدى جمهور المستشرقين في تطوير الاستشراق عمليًا ومعرفيًا، والبحث له عن مكان داخل العلوم الإنسانية والاجتماعية»^(٢).

وتغيّر المصطلح وأسبابه - في رأي الباحث - يشمل الرأيين؛ فقد اتسم نصف القرن الماضي بسرعة وتيرة التغيير، وتداخل العلوم وتنازعها في دراسة الظواهر، وأصبحت دراسة المشكلة تتطلب مشاركة أكثر من علم . وأكدت هذه الظاهرة الحاجة إلى التخصص، وأن الإنسان عاجز عن إتقان العلوم جميعها مهما طال عمره، فبرزت الحاجة إلى التخصص، وتغير مصطلح الاستشراق تلقائيًا من غير أن يكون هناك قصد من تغييره.

فأسهم هذا السبب التلقائي في تغير المصطلح، وأسهم سبب آخر مقصود يهدف إلى تغيير المصطلح؛ بسبب افتضاحه لدى شعوب الشرق، الذي نتج عنه نظرهم السلبية للمستشرقين؛ فالتغير كان لسبب طبعي ولسبب مقصود.

٢- انحسار المستشرق التقليدي:

ومع انحسار مصطلح الاستشراق انحسر معه المستشرق التقليدي، وحل محله (الخبير في...)، أو (الخبير ال...)، و(المختص ب...). حيث «يلاحظ المتتبع لمسيرة الاستشراق المعاصر عدة ظواهر تشير إلى مرور الاستشراق بمرحلة انتقال من الاستشراق التقليدي إلى لون جديد من الاستشراق، وانحسار مراكز الاستشراق التقليدية... كما يلاحظ أيضًا غياب المستشرق التقليدي المتخصص في الدراسات الإسلامية، وظهور الباحث الأكاديمي صاحب الارتباطات

(١) الاستشراق في الأدبيات العربية، ص ٢٢.

(٢) أزمة الاستشراق الحديث والمعاصر، ص ١٢٧.

السياسية»^(١)؛ وأدى هذا إلى «الانخفاض الواضح في مستوى عمل المستشرقين، حيث لم نعد نرى ذلك النوع من المستشرقين الذين يفنون أعمارهم في تحقيق مخطوط أو في جمع شتات مؤلف مندر في أماكن متفرقة»^(٢).

يقول د. مازن مطبقاني: «ولما أتيح للباحث فرصة الاطلاع على بعض النشاطات الاستشراقية فقد تأكد لي أن الذي انقرض هو ذلك الشخص الذي يعرف اللغة العربية ويخوض في شتى مجالات المعرفة التي تخص العالم العربي والإسلامي من التاريخ إلى الجغرافيا إلى الأدب إلى الاجتماع إلى العقيدة. نعم مثل هذا المتخصص لم يعد له وجود كبير»^(٣). هـ.

وقد زارني -بحكم عملي أميناً للمخطوطات في مكتبة الملك عبد العزيز بالمدينة النبوية- (يحيى ميتشوه)، أستاذ الدراسات الإسلامية في جامعة (هارفارد) في الولايات المتحدة، ومدير تحرير مجلة العالم الإسلامي، التي تصدر في نفس الجامعة، وهو مسلم من (بلجيكا)، جاء في زيارة رسمية إلى المملكة، واستغل وجوده بزيارة المكتبة والاطلاع على مخطوط قد اطلع على أربعين نسخة منه في العالم، فسألته عن مدى اهتمام المستشرقين بالمخطوطات العربية، فأجاب بأنهم لا يزالون يُعنون بها. وعندما طلبت منه ذكر بعضهم، لم يستطع تذكر سوى شخص واحد في (كندا)، وآخر في (فرنسا)^(٤).

وذلك يدل على أن وجود المستشرق التقليدي نادر، وأن وجوده الآن يمثل المرحلة الأخيرة التي يتبعها الغياب الكامل، في أغلب الظن. وفي هذا دلالة على التفات المسلمين لتراثهم بالتحقيق والدراسة والنشر.

(١) المرجع السابق، ص ٩٠-٩١.

(٢) ظاهرة انتشار الإسلام وموقف بعض المستشرقين منها، ص ٧٣.

(٣) الاستشراق المعاصر، ص ٤٩.

(٤) وكانت زيارته بتاريخ ٢٦/٥/١٤٣٣ هـ. وقد ولد في (بلجيكا) عام ١٩٥٢ م.

٣- «انحسار الدراسات الاستشرافية، وظهور الدراسات الإقليمية والقطرية»^(١)، والمراكز والمعاهد والأقسام المختصة بتلك الأقاليم والأقطار:

ومع انحسار مصطلح الاستشراق، وندرة المستشرق التقليدي، ضعفت الدراسات الاستشرافية، وحلّت محلها الدراسات الإقليمية، والقطرية، والاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية، تبنّاها عدد من الجامعات، والمعاهد، والمراكز البحثية.

فمن المظاهر التي صبغت طبيعة الاستشراق الأمريكي الحديث «تطور ما يسمى بالدراسات الإقليمية والدراسات القطرية وحلولها محل الدراسات الاستشرافية التقليدية»^(٢). فقد ترعرع في الجامعات برامج ومعاهد لدراسة المناطق، على نحو أصبحت فيه الدراسة الجامعية للشرق فرعاً من فروع السياسة الوطنية^(٣).

و«ظاهرة الدراسات الإقليمية والقطرية ظاهرة أمريكية. وهي تمثل الإسهام الأمريكي الحقيقي في الدراسات الخاصة بالشرق عامة. فمن المعروف أن المدرسة الأمريكية في الاستشراق مدرسة حديثة نسبياً، وتأتي في ذيل المدارس الاستشرافية»^(٤).

٤- التركيز على المجتمعات الإسلامية المعاصرة :

ظهور الدراسات الإقليمية وتطورها هو «نوع من تركيز الاهتمام على الأوضاع الحديثة لأقاليم وبلدان الشرق ومن بينها إقليم الشرق الأوسط وبلدانه الأساسية»^(٥). فمن المظاهر المميزة للاستشراق الحديث الاتجاه إلى دراسة بلدان الشرق في أوضاعها المعاصرة، من النواحي الاجتماعية والسياسية والدينية والفكرية. وبدلاً من أن يكون التاريخ المعاصر جزءاً من

(١) أزمة الاستشراق الحديث والمعاصر، ص ٩٤-٩٥.

(٢) المرجع السابق؛ وينظر: الاستشراق المعاصر، ص ١٧.

(٣) الاستشراق لإدوارد سعيد، ص ٧٧.

(٤) أزمة الاستشراق الحديث والمعاصر، ص ٩٥.

(٥) المرجع السابق.

الاهتمامات الاستشراقية كما كان الحال في ماضي الاستشراق، أصبح التاريخ المعاصر بمشاكله السياسية والاقتصادية يمثل لب الدراسات الاستشراقية المعاصرة^(١).

يقول خبير (راند) (غراهام فولر) : «من الخطأ أن نحكم على المستقبل من سياسات الجبهة الإسلامية للإنقاذ^(٢) على أساس النصوص أو القرآن وحده، بل ينبغي لنا أن نولي اهتماماً وثيقاً للطرق التي ينظر بها الإسلاميون إلى العالم»^(٣).هـ.

«الرؤية التي تقوم عليها الدراسات الإقليمية والقطرية تدور حول الرغبة في دراسة الحضارة الإسلامية في علاقتها بالمجتمعات الحية»^(٤)، فتُبدي «اهتمامها الشديد بالواقع العربي والإسلامي وبالمشاكل والقضايا الحديثة والمعاصرة على المستويات السياسية والاقتصادية والاجتماعية في العالم الإسلامي»^(٥). على عكس الأعمال الاستشراقية التقليدية التي تركز على دراسة المجتمعات المندثرة التي لا وجود لها^(٦).

ولذلك تزايد الاهتمام بدراسة التطبيق المعاصر للإسلام، وهذا الاتجاه يعد سمة بارزة في أغلب دراسات المدارس الاستشراقية الأوروبية والأمريكية^(٧). فركزت على دراسة تطبيق المسلمين

(١) نفسه، ص ٩٣؛ وينظر: زيارة جديدة للاستشراق، ص ١١٥.

(٢) هي حركة جزائرية إسلامية، تأسست عام ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، دعت إلى تحكيم الإسلام في شتى مجالات الحياة، فازت بأغلب مقاعد مجلس الشعب في الانتخابات التشريعية عام ١٤١٢هـ/١٩٩١م، لكن الجيش الجزائري انقلب عليها وحظر عملها، وأودع قياداتها في السجون. ينظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب ١/٢٣٩-٢٤٥.

(٣) Algeria: The Next Fundamentalist State? Graham E. Fuller, (Santa Monica, Rand, 1996). P. 76.

(٤) أزمة الاستشراق الحديث والمعاصر، ص ٩٨.

(٥) المرجع السابق، ص ٤١٤.

(٦) نفسه، ص ١٠٤.

(٧) تطور الاستشراق في دراسة التراث العربي، ص ٧٤.

المسلمين المعاصرين للإسلام، وتحليل خطابهم المعاصر، لا دراسة مصادرهم التي يعتمدون عليها.

«ومن الواضح أن سبب هذا التحول في جهود المستشرقين عن دراسة العصور الإسلامية الأولى في صدر الإسلام إلى دراسة العصر الحديث، هو أن هذه الدراسات دراسات موجّهة لمعرفة خصائص الشعوب الإسلامية، ومعرفة أمثل الطرق في التعامل معها لخدمة المصالح الاستعمارية»^(١).

فالاستشراق الحديث «ليس تاريخًا ماضيًا، ولكنه أيضًا سياسة قائمة يومية متجددة، نجد أنفسنا وثقافتنا فيها من خلال لغاتها مباشرة، وأعمالها، ومؤتمراتها، وأبحاثها، وقرارات الحكومات المبنية عليها»^(٢).

وقد تأكد للباحث -من خلال أنموذج الدراسة- أن الاستشراق الأمريكي الحديث يحاول أن يستخلص التجارب من الحالات القائمة الآن بالدرجة الأولى، ويلي ذلك استفادته من التاريخ القريب جدًا، ويندر جدًا أنه يستفيد من تاريخ ما قبل الحرب العالمية الأولى، أي أن استفادته من التاريخ لا تتعدى المئة سنة الماضية في الأعم الأغلب.

٥- انخفاض الاستشراق الفردي الذاتي:

نتج عن تحول الاستشراق إلى العمل المؤسسي متمثلًا في مراكز البحوث والدراسات والفكر والرأي، والمعاهد والجامعات إلى «انخفاض الجهد الاستشراقي المبذول على مستوى الأفراد، فلم يظهر في هذه المرحلة ذلك النوع من جيل المستشرقين القدماء وخاصة الألمان منهم، حيث كان الواحد منهم يفني عمره في تحقيق مخطوط أو في تأليف معجم أو فهرسة مصادر علم من العلوم»^(٣). بل صار «الاتجاه إلى العمل الجماعي للقيام بالدراسات الاستشراقية

(١) الإسلام والحضارة الغربية، د. محمد محمد حسين، (د.م، دار الفرقان، د.ت)، ص ١٠١.

(٢) "نهاية الاستشراق القديم وبداية عهد جديد"، محمد حامد الأحمرى، البيان، ٨٧٤، ذو القعدة/

١٤١٥هـ، ص ١٠٥.

(٣) الاستشراق للزيادي، ص ٣٠.

الاستشراقية الجادة؛ لأن عهد التخصص الفردي قد انقضى... وحل محله العمل العلمي الجماعي المنظم^(١). وانهار معه الأساس الشخصي للاستشراق، الذي يقوم على الرغبة الشخصية لدى المستشرق في التعرف على الشرق، والدخول في عالمه لتحقيق نزعات شخصية بحتة، أو للتعبير عن رغبة ذاتية، أو للكشف عن حقائق بعيدة عن الأهداف الاستعمارية والتنصيرية^(٢). وقام مكان الأساس المنهار المصلحة المالية للمستشرق، الذي صار همه السعي لكسب معيشته، دون التعاطف مع قضية الاستشراق^(٣).

٦- إهمال تعلم اللغات الشرقية، وإهمال التراث الشرقي وتحقيقه ونشره:

لا يُعنى المستشرقون في الاستشراق الحديث بتعلم لغات المناطق التي يدرسونها، كما كان عليه الاستشراق السابق^(٤)، فأغلب الخبراء والمختصين «لا يتقنون لغات الشعوب الشرقية التي يدرسونها، ولا تتعدى دراساتهم تلك التقارير البسيطة المقدمة للجهات التي يتبعونها»^(٥)، وأهملوا ممارسة اللغة ومعايشتها والتعمق فيها حديثًا وكتابة، واكتفوا بمعرفة سطحية لا تمكنهم من استخدام المصادر الإسلامية والشرقية استخدامًا علميًا سليمًا، ولا من فهم النصوص الأصلية واستيعابها^(٦).

يقول د. ساسي الحاج: تشترك المدرسة الاستشراقية الأمريكية «مع خصائص المدارس الاستشراقية الأوروبية... ولكنها تمتاز عنها بأنها لم تقف جهودها على مجال إظهار الحركة الأدبية العربية سابقًا أو حاليًا. ذلك أن معظم الدراسات الأمريكية الغزيرة تناولت الشرق الأوسط من حيث الأحوال الاقتصادية والسياسية والتاريخية والعلمية والأثرية، ولكنها تفتقر

(١) نقد الخطاب الاستشراقي ١/ ١٦١.

(٢) أزمة الاستشراق الحديث والمعاصر، ص ١٢٠-١٢١.

(٣) القلم والسيوف، ص ٢٨.

(٤) تطور الاستشراق في دراسة التراث العربي، ص ٦٣؛ وزيارة جديدة للاستشراق، ص ١١٥.

(٥) نقد الخطاب الاستشراقي ١/ ٢٣.

(٦) أزمة الاستشراق الحديث والمعاصر، ص ٧٨-٧٩.

بشدة إلى دراسة متعمقة ورصينة للآداب العربية. واستتبع إهمال الأدب العربي ضعف الدراسات الأمريكية المتعلقة بـ «فقه اللغة»^(١) هـ. واستتبعه أيضاً عدم الاكتراث «بنشر التراث وتحقيقه وترجمته كما كان يفعل المستشرقون من قبل»^(٢).

٧- تشجيعه الطلاب المشرقيين على دراسة بلدانهم بإشراف المستشرقين:

من السمات التي برزت منذ بداية الاستشراق الحديث: «إقبال الآلاف من الطلاب الشرقيين على الجامعات الأوروبية والأمريكية، وتلقي علومهم بتلك المؤسسات التعليمية على أيدي متخصصين في الدراسات الاستشرافية»^(٣).

وقد بدأ معهد الدراسات الإسلامية في (مونتريال بكندا)^(٤) منذ منتصف القرن الميلادي الماضي يشجع الطلاب العرب والمسلمين على دراسة أوضاع بلادهم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية تحت إشراف أساتذتهم من المستشرقين^(٥).

ولدى (راند) كلية تمنح درجة الدكتوراه، ويلتحق بها سنوياً عددٌ من الطلاب جاؤوا من بلدان أفريقية وآسيوية^(٦). ونشرت (راند) بعض رسائلهم التي تناولوا فيها بعض القضايا في بلدانهم.

ويندرج تحت هذه الطبيعة في الاستشراق الأمريكي الحديث: «تطبيع الفكر الاستشرافي... وذلك من خلال إيجاد كوادر محلية تتبنى الطروحات الاستشرافية»^(٧). وهو أمر استشرى في

(١) نقد الخطاب الاستشرافي ١/١٥٧.

(٢) الاستشراق للشرقائي، ص ١٣.

(٣) نقد الخطاب الاستشرافي ١/١٦١.

(٤) تأسس في جامعة (ماكجيل)، عام ١٣٧١هـ/١٩٥٢م، لدراسة الإسلام ومجتمعاته. ينظر موقع الجامعة: <http://www.mcgill.ca/islamicstudies>

(٥) الاستشراق المعاصر، ص ٢١.

(٦) موقع (راند): <http://www.prgs.edu/students>

(٧) الاستشراق في السيرة النبوية: دراسة لآراء (وات-بروكلمان-فلهاوزن)، عبد الله محمد الأمين النعيم، سلسلة الرسائل الجامعية (٢١)، (الولايات المتحدة الأمريكية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٤١٧هـ)، ص ٢٧.

الإعلام بصورة خاصة، فأصبحنا نقرأ ونستمع للمثقف وللإعلامي العربي المسلم، وكأننا نستمع لمستشرق كبير. وسيستشري على المستوى الفكري السياسي مع التحولات السياسية التي يشهدها العالم الإسلامي، والله أعلم.

٨-اعتماده على الاستشراق السابق:

يعتمد الاستشراق الحديث الأمريكي وغيره على نتاج الاستشراق السابق^(١)، ويصرّح أحد المستشرقين الأمريكيين بمصادره عن الإسلام، ويعددّها، وهي من نتاج المستشرقين أتباع المدرسة السابقة^(٢)، «وما زال الباحثون الغربيون ينهلون من الكتابات الاستشراقية، وما زالت بعض كتاباتهم تحتوي على التشوهات نفسها»^(٣).

وسواء كانوا يتناولون عقيدة الإسلام، أم شريعته، أم أخلاقه، أم مجتمعاته، أم غيرها من المجالات، فإنهم لا يكادون يخرجون عن الجهود الاستشراقية السابقة^(٤).

٩-غياب ظاهرة الهجوم السافر على الإسلام:

«شهدت هذه المرحلة... تبديلاً في شكل الكتابات الاستشراقية، فالهجوم السافر على الإسلام واحتقار العروبة وغيرها من السلبيات الاستشراقية لم تعد ظاهرة كما كانت من قبل، وإنما أصبح التستر والتورية وقلب المفاهيم والاستنتاجات الخاطئة هي السمة العامة للبحوث الاستشراقية في هذه المرحلة»^(٥). وأصبح الاستشراق الحديث يستخدم -في هجومه على الإسلام أو شرائعه- أسلوب المراوغة وعدم إعلان الحقيقة، ولكن يعلن شيئاً آخر بدلاً عنها؛ لتمرير أهدافه.

(١) أزمة الاستشراق الحديث والمعاصر، ص ٦٨، ٨٣، ١٠٥.

(٢) ينظر: "الصراع على الإسلام من الاستشراق إلى الأنثروبولوجيا"، رضوان السيد، التسامح، ع ٥، (عُمان-مسقط، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، ١٤٢٤هـ)، ص ٧٨.

(٣) الاستشراق المعاصر، ص ١٧.

(٤) المرجع السابق، ص ١٣.

(٥) الاستشراق للزيادي، ص ٣٠.

١٠- تغير أسلوب سيطرة الاتجاهات الدينية اليهودية والنصرانية:

بعد أن كانت سيطرة الاتجاهات الدينية اليهودية والنصرانية ظاهرة في الاستشراق السابق، أصبحت اليوم في الاستشراق الحديث تتخفى تحت ستار المذاهب الفكرية المعاصرة، كالعلمانية و(الليبرالية) والعقلانية ونحو ذلك. وقد وجده الباحث في دراسات (راند)، ولدى باحثة (راند) (الليبرالية) اليهودية (د.شيريل بينارد) بصورة أخص وأوضح.

ولا ينطبق على بعض باحثي (راند) ما ذهب إليه أ.د.محمد خليفة من أن الاستشراق الأوروبي والأمريكي المعاصر توزع «بين الرؤى العلمانية والإلحادية والعقلانية المستقلة عن الدين، بل والرافضة له فضلاً عن التفسير الرأسمالي والمادي لحياة الشعوب العربية والإسلامية»^(١). بل الأمر كما قال د.محمود زقزوق: «وإذا كان الهدف الديني لم يعد ظاهرًا الآن في الكثير من الكتابات الاستشراقية فليس معنى ذلك أنه قد اختفى تمامًا. إنه لا يزال يعمل من وراء ستار، بوعي أو بغير وعي»^(٢).

فلا بد للباحث وهو يبحث في الاستشراق الأمريكي الحديث أن يربط آخر الاستشراق بأوله، فإذا كان من أهداف أوله: التنصير، فينبغي أن نفتش عنه في آخره، حتى وإن صارت المظاهر العلمانية هي السائدة في الولايات المتحدة فإن الدين أيضًا لا يزال له مكان متسع في المجتمع الأمريكي.

١١- انطلاقه ابتداءً لخدمة أغراض سياسية استعمارية، بعكس الاستشراق السابق:

إذا كان الاستشراق القديم -من حيث العموم- قدّمه أصحابه بصفة حقيقة ثقافية قبل أن يستخدموه للأغراض السياسية والاستعمارية؛ ومن هنا يمكن اعتباره ظاهرة ثقافية بالدرجة الأولى قبل أن يسخر لأهداف ومرامٍ أخرى^(٣) فإن الاستشراق الحديث -بحسب أنموذج الدراسة (راند)- على العكس تمامًا، يقدمه أصحابه منطلقين من أغراض سياسية استعمارية.

(١) أزمة الاستشراق الحديث والمعاصر، ص ١٤٩.

(٢) الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، ص ٧٥.

(٣) نقد الخطاب الاستشراقي ١/٢٢.

١٢- أنه صريح العلاقة بالمؤسسات السياسية الغربية:

الاستشراق الأمريكي الحديث -بحسب أنموذج الدراسة- صريح العلاقة بالمؤسسات السياسية الغربية، وصريح العلاقة بالاستعمار الغربي السافر لدول العالم، بل إن علاقته بذلك تمثل عصب حياته وعمله، ولو قطعت هذه العلاقة لأوشك على الموت.

١٣- جاسوسيته:

من طبيعة الاستشراق الأمريكي الحديث سقوطه «في مستنقع الجاسوسية وجمع المعلومات، وتقديم الخدمات المعرفية للدوائر السياسية والاقتصادية والعسكرية الغربية»^(١). وقد صرّح نائب الرئيس التنفيذي الحالي لمؤسسة (راند)، بقيام المؤسسة بمهام من هذا القبيل خلال الحرب الباردة مع الاتحاد السوفيتي، عندما قامت بمقابلات مع المهاجرين السوفيت، وهو أمر يستحيل أن يوافق عليه هؤلاء المهاجرون لو طلبه منهم مسؤولون حكوميون^(٢).

١٤-فاعليته وتفوق مناشطه بسبب الهيمنة الأمريكية:

يتميز الاستشراق الأمريكي الحديث بفاعليته، وتفوق مناشطه على الاستشراق الأوروبي؛ لما له من صلة وثيقة بالهيمنة التي تمارسها الولايات المتحدة على شعوب العالم بأسره، والشرق في مقدمته^(٣).

١٥-اعتماد الاستشراق الأمريكي الحديث على دعم الشركات والمؤسسات

الخاصة مع الدعم الحكومي:

(١) أزمة الاستشراق الحديث والمعاصر، ص ٤١٤.

(٢) "مؤسسة راند: كيف تتفاعل مؤسسات الفكر والرأي مع المؤسسة العسكرية؟"، مايكل ريتش، في:

"دور مؤسسات الفكر والرأي..."، ص ٢٦.

(٣) الاستشراق للزبادي، ص ١٠٢.

كثير من البحوث ترعاها وتمولها بعض المؤسسات الأمريكية الخاصة، وبخاصة المؤسسات غير الربحية، وهي بهذا تدعم السياسة الأمريكية في العالم، وتعتمد عليها حكومة الولايات المتحدة في دعم المشروعات طويلة المدى، التي يحتمل أن تواجه تعثرات بسبب الاعتراضات داخل الولايات المتحدة عليها، مما قد يعرقل المشروع، أو يُمنع عنه الدعم الحكومي.

يقول د. ساسي الحاج: إسهام الشركات والمؤسسات الخاصة وبعض الدوائر الحكومية ذات العلاقة بالمدارس الاستشراقية قد ساعد على تفرغ كثير من المستشرقين للالتفات إلى البحث والتقصي^(١).

١٦- الاستشراق الأمريكي الحديث ذو طابع متسع، يُدخل في مجال الاستشراق كثيرين مهما قل مستواهم العلمي أو المهني:

أسهم الطابع الذي تميز به الاستشراق الحديث، في فتح المجال واسعاً أمام الناس للدخول في مجاله، «واتجه إلى الاستشراق أعضاء جدد لم يكونوا يفكرون بطرق أبوابه من قبل، حتى إنه دخل في هذا المفهوم الكتاب الصحفيون والمعلقون السياسيون والمهتمون بالمنطقة، مما أعطى فكرة الاستشراق شيئاً من السطحية لم تكن تتسم به من قبل. وأصبحت هذه المقالات والتعليقات كتباً تباع في المكتبات على أنها مراجع عن المنطقة، وأصبح كاتبوها ممن يرجع إليهم في تحليل أو تفسير ما يقع في المنطقة من أحداث... ولسطحية هؤلاء لا يصدق عليهم مفهوم الاستشراق الأعظم من مجرد الإسهام في الكتابة عن المنطقة كتابة سريعة»^(٢).

١٧- اعتماده في نشر أفكاره على الوسائل الإعلامية الحديثة:

(١) نقد الخطاب الاستشراقي ١/ ١٥٩.

(٢) الاستشراق في الأدبيات العربية، ص ١٠٤.

يعتمد الاستشراق الأمريكي الحديث في نشر أفكاره على وسائل إعلامية حديثة، قوية التأثير، كالسينما، والتلفاز، والقنوات الفضائية، ونحو ذلك من مخترعات العصر. ومع اقتراب القرن العشرين الميلادي من نهايته كانت مؤسسات صناعة السينما الأمريكية تؤكد أن الاستشراق على النمط الأمريكي قد ضرب بجذور عميقة في الثقافة الشعبية الأمريكية^(١).

ويقوم الإعلام بمهام كبيرة وخطيرة في الترويج لمقالات المستشرقين، وبخاصة المتحاملة والحاقدة على الإسلام والمسلمين^(٢).

وظاهرة الاستشراق الصحافي «أحد إفرازات المؤسسة الاستشراقية الحديثة، فينضوي تحت لوائها عدد هائل من الصحفيين المختصين في شؤون الإسلام والمسلمين»^(٣). «وقد قاربت المجالات الاستشراقية ٣٠٠ مجلة بمختلف اللغات»^(٤).

وقد يكون التوجه الإعلامي للمستشرقين بسبب ما تعرّض له الاستشراق من الوقوف في وجهه، وتقلص نفوذه، فتوجهوا إلى العلوم الأخرى بجانبها الإعلامي؛ ليعلقوا على الأحداث المتتالية التي تعصف بمنطقة في الشرق، من وجهة نظر تظل استشراقية^(٥).

ذلك هو الطابع الذي ظهر به الاستشراق الأمريكي الحديث، وهو طابع يتوزع بين عوامل قوة، تسهم في خدمة الأهداف الأمريكية؛ وبين عوامل ضعف، وقلة علم، قد تكون مؤذنة بهزيمة الاستشراق الأمريكي الحديث وانتكاسته، وبالتالي هزيمة من يرعاه ويدعمه ويعتمد عليه في سياساته وحروبه واستعماراه.

(١) ينظر: الاستشراق الأمريكي لدوجلاس، ص ٦٠.

(٢) بحوث في الاستشراق الأمريكي المعاصر، ص ١٠٣.

(٣) "ظاهرة الاستشراق الصحافي"، حسن عزوزي، المسلمون، ع ٥١٠، ٨ / ٦ / ١٤١٥ هـ.

(٤) الاستشراق للزيادي، ص ٥٣.

(٥) الشرق والغرب: محددات العلاقات ومؤثراتها، ص ١١٧.

المطلب الثاني : أهداف الاستشراق الأمريكي الحديث:

لا تختلف أهداف الاستشراق الأمريكي الحديث عن الاستشراق السابق في أمريكا وأوروبا إلا في ملحظين:

الأول: دخول الهدف الصهيوني بقوة في الاستشراق الأمريكي الحديث.
والثاني: ضعف الهدف العلمي وانحساره، على خلاف بين الباحثين.
وفيما يلي ستة أهداف تمثل الأهداف الرئيسة للاستشراق الأمريكي الحديث، وهي:
الهدف الديني، والعسكري، والاستعماري، والسياسي، والصهيوني، والاقتصادي، مع بيان منزلة الهدف العلمي في الاستشراق الأمريكي الحديث.

أولاً: الهدف الديني:

تأسس الاستشراق الأمريكي أصلاً لتحقيق أهداف دينية تنصيرية^(١)، ولم تظهر في بواكيره التطلعات الاستعمارية^(٢).

وقد كان الهدف الديني في الاستشراق سابقاً ولا يزال في الاستشراق الحديث من أخطر الأهداف، يسعى إلى تحويل المسلمين عن دينهم، وتقطيع روابط جماعتهم الكبرى، وبتها إلى وحدات صغيرة متقاطعة متنافرة متدابرة، يقاتل بعضها بعضاً، ويصارع بعضها بعضاً، ويجاني بعضها بعضاً^(٣).

وحاول الهدف الديني في ظل الاستشراق الحديث أن يستر نفسه تحت الأهداف العلمية الصرفة، فلم يبرز الهدف الديني بصفة ظاهرة، لكن المتفحص للدراسات الاستشراقية الحديثة يجد أنه لا يزال يعمل في الخفاء، وفي العلن أحياناً^(٤).

(١) نقد الخطاب الاستشراقي ١/١٥٧.

(٢) الاستشراق: الاستجابة الثقافية الغربية للتاريخ العربي الإسلامي، د. محمد الدعيمي، ط ٢، (بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٨م)، ص ١٣٣.

(٣) ينظر: أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها: التبشير-الاستشراق-الاستعمار: دراسة وتحليل وتوجيه، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، ط ٢، (دمشق، دار القلم، ١٤٠٠هـ)، ص ٩٤؛ وتطور الاستشراق في دراسة التراث العربي، ص ٢١.

(٤) الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، ص ٧٥؛ ونقد الخطاب الاستشراقي ١/١٠٢.

- وقد تركز الهدف الديني الأمريكي في أنموذج الدراسة (مؤسسة راند) على الأسس التالية:
- ١- عرقلة الدعوة الإسلامية الموجهة إلى العالم الغربي، وبقية أنحاء العالم، والمنطلقة بخاصة من دول الخليج العربي والعالم العربي. وتشويه الإسلام بوصفه بأوصاف التطرف والإرهاب ونحوهما.
 - ٢- تشويه الإسلام بين أهله، وصدهم عن التمسك به؛ وتشويه علماء الإسلام ودعائه، والولايات الشرعية.
 - ٣- البحث عمن يقبل من المسلمين بتحريف أحكام الإسلام وليّ معاني نصوصه لتتوافق مع القيم الغربية، وإقناع المسلمين بأن هذا هو الإسلام الصحيح.
 - ٤- التركيز على نشر الحريات بحسب المفهوم الغربي؛ وهو أمر ينتج عنه كثير من الاختلال العقدي لدى المسلمين، وينتشر بسببه الكفر والإلحاد والزندقة والارتداد.
 - ٥- بناء معاول هدم للإسلام من المنافقين، والمرتدين، والفرق الضالة، ورقيقى الديانة، وتكوين روابط تجمعهم.
 - ٦- إحداث الفرقة والخلاف والنزاع بين المسلمين، وبخاصة فيما بين أهل السنة والجماعة^(١).
- ولا شك «أن أخطر أهداف الاستشراق العمل على تحويل المسلمين عن دينهم، وإشاعة الفرقة فيما بينهم يقاتل بعضهم بعضاً، ويصارع بعضهم بعضاً»^(٢).
- وصدق د. مصطفى السباعي رحمه الله^(٣) عندما قال كلمة في أوائل مرحلة الاستشراق الحديث، عن الاستشراق في الولايات المتحدة بأنه: «الآن يمثل ذروة العداء للإسلام والمسلمين،

(١) أهل السنة والجماعة هم: الآخذون بسنة رسول الله ﷺ، العالمون بها، العاملون بمقتضاها؛ اجتمعوا على الحق، وأخذوا به، واقتفوا أثر جماعة المسلمين المستمسكين بالسنة من الصحابة رضي الله عنهم، والتابعين، وأتباعهم . مفهوم أهل السنة والجماعة عند أهل السنة والجماعة، د. ناصر بن عبد الكريم العقل، (الرياض، دار الوطن، ١٤١١ هـ)، ص ٧٧، ٧٨.

(٢) الإسلام والمسلمون بين أحقاد التبشير وضلال الاستشراق، د. عبد الرحمن عميرة، (بيروت، دار الجيل، د.ت)، ص ١١٩.

(٣) عالم مجاهد، من خطباء الكتاب، ولد بخص، وعمل أستاذًا بكلية الحقوق بدمشق، من مؤلفاته: (السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي)، و(المرأة بين الفقه والقانون)، توفي بدمشق سنة ١٣٨٤ هـ. الأعلام ٢٣١/٧-٢٣٢.

ويشرف على الدراسات الإسلامية في جامعاتها أشد أعداء الإسلام تعصبًا وحقًا^(١).

ثانيًا: الهدف العسكري:

استنادًا إلى المقولة العسكرية التي تؤكد بأن «لا شيء ينجح في الحرب إلا [إذا] تم التفكير فيه وتصميمه وإنضاجه بإرادة قوية»^(٢)، مثّل الهدف العسكري في الاستشراق الحديث «القوة الضاربة» التي استهدفت العالم الإسلامي^(٣)، وقدّم فيه الاستشراق: التفكير والتخطيط والإنضاج . «وإذا كان الغرب قد غزا الشرق والإسلام عسكريًا، فإن الاستشراق رافق هذا الغزو وقدم له... ومهد له الطريق على الجبهة الثقافية والفكرية»^(٤).

وإذا كانت دول العالم تجعل مهام أركان جيشها في حدود جغرافية أو مناطق على أراضيها الممتدة داخل حدودها، فإنك عندما تزور موقع جيش الولايات المتحدة على الشبكة العالمية للمعلومات، ستجد أن خريطة توزيع قيادات الجيش صارت على قارّات العالم، وليست داخل حدود الدولة^(٥)؛ وهذا يفيد أن الهدف العسكري في الاستشراق الأمريكي شيء أساس، ينبثق من أسس الجيش الأمريكي وتركيبته الإدارية.

وأصدق دليل على هذا أن سبب نشأة (راند) كان عسكريًا، وأنشأها العسكر. ثم استقلّت وأصبحت تحتكر العمل في ثلاثة مراكز بحثية عسكرية في الولايات المتحدة تتبع كلاً من القوات الجوية، والجيش الأمريكي، ووزارة الدفاع، وتمدها هذه الجهات بنصف ميزانية المؤسسة. وتضاعفت البحوث العسكرية لدى (راند) بعد أحداث ١١/سبتمبر، وصارت هي النسبة الغالبة، وشهد الاستشراق الأمريكي الحديث نموًا بحثيًا سريعًا وكبيرًا، ومتوسعًا، آزره وأذكاه الوجود العسكري الأمريكي المكثف في العالم الإسلامي.

(١) الاستشراق والمستشرقون: ما لهم وما عليهم، د. مصطفى السباعي، ط ٣، (بيروت، المكتب الإسلامي، ١٤٠٥هـ)، ص ٥٩.

(٢) الوجيز في الحرب، الجنرال كارل فون كلاوزفيتز، ترجمة أكرم ديري، والهيثم الأيوبي، ط ٢، (بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٨م)، ص ٢٨.

(٣) الإسلام والاستشراق، ص ١٦٣.

(٤) الاستشراق رسالة استعمار، ص ٢٢٠.

(٥) موقع الجيش الأمريكي: <http://www.army.mil/info/organization>

والمستشرقون المحدثون أو الخبراء، تحت هذا الهدف «ينفذون» «أمرًا عسكريًا» من قيادة سياسية وعسكرية في الوقت نفسه؛ ومن أولى مهامهم: العمل على تحسين الوجه الاستعماري لدى شعوب الشرق، وبذل كل الجهود والإمكانات بغية احتلال العقول والقلوب قبل الإقدام على احتلال الأرض والسيطرة على ثرواتها^(١). ولذلك روجوا للحريات، والحقوق، وأن الغرب يدعم الشعوب للحصول عليها، وروجوا للديمقراطية، وللمساواة بين الرجل والمرأة، ولحقوق المرأة، إلى غير ذلك من شعارات القيم التي تُروَّج لصالح الهدف العسكري أو السياسي. وعندما يشنون حربًا يروجون أنهم لا يحاربون الإسلام، وأنه ينبغي على العالم أن ينظر إلى الغازي بصورة حسنة؛ لأنه يقود (حربًا عادلة).

وهكذا استطاع الاستشراق الحديث أن ينشر عبارات براقة، ومصطلحات أخاذة، تخدم هدفه العسكري، ويُروَّج لها المسلمون فيما بينهم، وينخدع بها كثير منا.

ثالثًا: الهدف الاستعماري:

«الاستعمار... نزوع الدول الكبيرة لفرض سلطاتها وإرادتها على البلدان الأخرى والاحتفاظ بهذه السيطرة بمختلف الوسائل السياسية والاقتصادية والعسكرية، ومحاولة تغيير هوية البلدان المستعمرة وربطها بالدولة الاستعمارية ربطًا عضويًا ولغويًا وثقافيًا واقتصاديًا، واستغلال ثرواتها»^(٢).

«والاستعمار في حقيقة أمره هو امتداد للحروب الصليبية»^(٣).

وترتبط ظاهرة الاستشراق «ارتباطًا عضويًا بظاهرة الاستعمار: فحيث يكون الاستعمار يكون الاستشراق. فكل الدول الاستعمارية الغربية لها مؤسسات استشراقية»^(١)، تهدف إلى

(١) الإسلام والاستشراق، ص ١٦٤.

(٢) الموسوعة الميسرة للمصطلحات السياسية، ص ٣٩.

(٣) الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، ص ٥٠؛ وينظر: الغزو الفكري والتيارات المعادية

للإسلام، د. علي عبد الحليم محمود، من بحوث: مؤتمر الفقه الإسلامي بالرياض عام ١٣٩٦هـ،

(الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠١هـ)، ص ١٤٢.

تعريف الدوائر الاستعمارية السياسية بالجوانب التراثية والحضارية والتاريخية من العالم الإسلامي وعرض الأمور التي بالإمكان استغلالها واستثمارها لصالح تلك الدول من أجل توطيد سيطرتهم على المنطقة^(٢). فهي «بمثابة الدليل للاستعمار لفرض سيطرته على الشرق»^(٣)، عن طريق جعل المعرفة بالأجناس المحكومة أو بالشرقيين تُسهّل للغرب حكمهم، وتجعله مجدياً؛ حيث إن المعرفة تمنح السلطة، والمزيد من السلطة تتطلب مزيداً من المعرفة، وهكذا دواليك في حركة جدلية بين المعلومات والسيطرة المتنامية^(٤).

فالاستشراق وثيق الصلة بالاستعمار، وبخاصة الاستعمار البريطاني والفرنسي، منذ أواخر القرن الثامن عشر الميلادي حتى نهاية الحرب العالمية الثانية، ثم بالاستعمار الأمريكي بعد تلك الحرب حتى الآن، ممثلاً للاستعمار الأوروبي^(٥) ومهيماً عليه. و«لقد وقفت الدراسات الاستشراقية الأمريكية جهودها على تحقيق أهداف سياسية استعمارية ما زلنا نشهد آثارها إلى يومنا هذا»^(٦).

والهدف الاستعماري في الاستشراق هدف هدمي «تمثل في مساعدة الدول الاستعمارية على تدمير العالم الإسلامي سواء كان ذلك بالتمهيد لحركة الاستدمار»^(٧) العالمي أو تجذيرها وتوطينها. وتعترف الدوائر الغربية بدور المستشرقين الإيجابي في المساعدة على احتلال العالم الإسلامي^(٨).

(١) رؤية إسلامية للاستشراق، د. أحمد عبد الحميد غراب، ط ٢، (لندن، المنتدى الإسلامي، ١٤١١هـ)، ص ٨.

(٢) تطور الاستشراق في دراسة التراث العربي، ص ٢٦.

(٣) الاستشراق في السيرة النبوية، ص ٢٢.

(٤) الاستشراق لإدوارد سعيد، ص ٩١.

(٥) رؤية إسلامية للاستشراق، ص ٨.

(٦) نقد الخطاب الاستشراقي ١/ ١٥٨.

(٧) الاستدمار، والاستخرا، والاحتلال، ونحوها، مصطلحات بديلة يستخدمها بعض الباحثين بدلاً عن مصطلح (الاستعمار)؛ لأن لفظ الأخير لا يدل على حقيقته. ودرج الأغلب على استعمال مصطلح (الاستعمار)، باعتبار أنه مصطلح شاع معناه وانتشر بأنه احتلال للدول وفرض الهيمنة عليها.

(٨) الاستشراق للزبادي، ص ٣٤.

وإن كانت حركة الاحتلال والاستعمار المباشر قد هدأت خلال نصف قرن مضى، فإنها عادت الآن بقوة في أوائل العقد الثالث من القرن الخامس عشر الهجري/أوائل القرن الميلادي الحادي والعشرين، وعادت معها الجهود الاستشراقية الاستعمارية بقوة وكثرة. «وكذلك حين يتوسع الاستعمار يتوسع الاستشراق»^(١).

وما أنتجته (راند) من بحوث استشراقية بعد أحداث ١١/سبتمبر لا يقارن ألبتة بما أنتجته قبلها. «القاعدة التي لا تتخلف هي: أن الاستعمار يصحبه دائماً الاستشراق، والتوسع الاستعماري يصحبه دائماً التوسع الاستشراقي»^(٢).

«وإذا كان الاستعمار عملياته بالشعوب مفاجئة وسريعة، فإن عمليات الاستشراق تكون هادئة، تعتمد على التدرج والتهييء»^(٣). ويعمل مركز (راند-قطر)، وفرعها في أبو ظبي على هذا التهييء للمستعمر، وبخاصة في دول الخليج.

ويعد الاستشراق مسؤولاً عن شرح الفلسفة الاستعمارية وتفسيرها، ومدّها بالمبادئ والقيم التي حركت عملية الاستعمار في العصر الحديث، من تبريرات ثقافية وحضارية لفكرة الاستعمار، ومن صياغة لأسباب دينية وفكرية، ومن دراسات عن شعوب الشرق، سهّل كل ذلك للقوى السياسية والعسكرية تنفيذ خططها لاستعمار الشرق. وبذلك اختلطت قيم الاستشراق بقيم الاستعمار وصارت قيماً واحدة، سيطرت على الهوية الاستشراقية خلال حركة الاستعمار العالمية في القرون الثلاثة الأخيرة^(٤).

رابعاً: الهدف السياسي:

(١) رؤية إسلامية للاستشراق، ص ٨.

(٢) المرجع السابق.

(٣) الاستشراق رسالة استعمار، ص ١٠٩.

(٤) ينظر: "الصهيونية وعلاقتها بالاستعمار والتبشير والاستشراق"، د. أحمد إسماعيلوفتش، الفكر الإسلامي، ٦٤-٧، (بيروت، دار الفتوى، جمادى الأولى والآخرة/١٣٩٥هـ، ص ٨٧-٩٦؛ وأزمة الاستشراق الحديث والمعاصر، ص ٣٢٨.

برز الهدف السياسي مع بداية استقلال البلدان الإسلامية المستعمرة، وانسحاب جيوش المستعمر منها^(١)؛ فحلّت الأساليب السياسية محل الاستعمار؛ لإدامة أهداف الاستعمار، واستمرار تحقيق غاياته.

ومن الأهداف التي تعد ركيزة أساس في بنية مؤسسات الفكر والرأي في الولايات المتحدة الأمريكية: القدرة على التأثير السياسي على حكومتهم، وتعد مؤسسة (راند) من أقوى هذه المؤسسات تأثيراً في السياسة الأمريكية، بحكم احتكارها العمل البحثي لبعض المرافق العسكرية، وشهرتها في مجال دراسات السياسات.

ويُعَدُّ مركز (راند-قطر) مسؤولاً عن معظم بلدان العالم الإسلامي، وهدفه الرئيس: «تحليل المشكلات السياسية المعقدة ومساعدة واضعي السياسات على وضع حلول مستدامة»^(٢). والتأثير السياسي لدى مؤسسة (راند) يأخذ شكل الاتجاه الدائري بين المؤسسة وحكومة الولايات المتحدة. فكثيراً ما يغادر بعض الخبراء عملهم في (راند) لينتقلوا للعمل في الحكومة، بصفة وزير دفاع، أو وزير خارجية، أو سفير، أو مستشار، ونحو ذلك. وكثيراً ما يغادر بعض المسؤولين في الحكومة ليلتحقوا بالعمل في (راند)، وبعضهم يكون قد شغل مناصب حساسة مثل الوظائف العليا في مجلس الاستخبارات الوطني. وهكذا يأخذ الشكل الدائري بين تأثير وتأثر من طرف (راند) ومن طرف الحكومة في نفس الوقت.

وقد تسابق كثير من مؤسسات الرأي، والجامعات الأمريكية، وبخاصة بعد أحداث ١١/سبتمبر إلى محاولة التأثير على سياسة الولايات المتحدة الأمريكية الخارجية والداخلية.

خامساً: الهدف الصهيوني:

(١) الاستشراق بين الحقيقة والتضليل: مدخل علمي لدراسة الاستشراق، ط ٣، (القاهرة، دار الكلمة للنشر، ١٤٢١هـ)، ص ٦٩.

(٢) معهد راند-قطر للسياسات، (سانتا مونيكا-الولايات المتحدة، راند، د.ت)، ص ٢؛ ومؤسسة راند في الشرق الأوسط، (سانتا مونيكا-الولايات المتحدة، راند، د.ت)، ص ٢.

الصهيونية: حركة سياسية عنصرية متطرفة، هدفت إلى إقامة دولة لليهود في فلسطين تحكم من خلالها العالم كله^(١)، ويصبح العالم في قبضة اليهود، وتحت سيطرتهم. وهي حركة خبيثة هدامة، تستهدف القضاء على المبادئ والقيم وكل ما هو غير يهودي^(٢).

وقد «خضع الاستشراق خضوعاً مباشراً في تاريخه القديم والحديث لقوتين مهمتين من قوى العالم الغربي: القوة السياسية الاستعمارية، والقوة الدينية الكنسية التنصيرية فضلاً عن خضوعه في تاريخه الحديث لقوة جديدة جمعت بين السياسة والدين ألا وهي القوة اليهودية الصهيونية»^(٣)، وتحالفت مع الاستعمار والتنصير والاستشراق لتحقيق الهدف الاستعماري والعقدي في آن واحد^(٤).

فمن الأمور التي برزت في الاستشراق الحديث في الولايات المتحدة الأمريكية سيطرة علماء الأقليات من اليهود وغيرهم على جملة من مراكز بحوث الشرق الأوسط، حيث ظهر علماء وباحثون من المهاجرين إلى الولايات المتحدة، انضموا إلى حقل الدراسات الاستشراقية، واحتلوا وظائف ومناصب بارزة في الجامعات والمراكز البحثية المتخصصة في الاستشراق ودراسات الشرق الأوسط. فمن الطبيعي أن يوظف هؤلاء الأساتذة والباحثون اليهود جهودهم لخدمة أهداف بلادهم الصهيونية بشكل عام^(٥). فالاستشراق الحديث قد شهد «دخول الصهيونية طرفاً في الاستفادة من حركة الاستشراق وتسخيرها لخدمة القضايا الصهيونية»^(٦)، بدءاً من التأسيس لإقامة دولة إسرائيل في فلسطين وحتى اليوم^(٧).

(١) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب ١/٥١٨.

(٢) الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام، ص ١٣٣.

(٣) أزمة الاستشراق الحديث والمعاصر، ص ٢٢.

(٤) ينظر: الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام، ص ١٤٢.

(٥) ينظر: أزمة الاستشراق الحديث والمعاصر، ص ١٠٧، ١١٠.

(٦) الاستشراق للزيايدي، ص ٣٢؛ ينظر: نبوة محمد ﷺ في الفكر الاستشراقي المعاصر، د. لخصر شايب،

(الرياض، مكتبة العبيكان، ١٤٢٢هـ)، ص ١٤٧؛ وزيارة جديدة للاستشراق، ص ١١٥.

(٧) ينظر: نبوة محمد ﷺ في الفكر الاستشراقي المعاصر، ص ١٤٧.

يقول إدوارد سعيد: «لقد أولى المؤيدون لإسرائيل اهتماماً أكبر بكثير من غيرهم لمسألة انضمام الدارسين الإسرائيليين أو الصهاينة إلى الفروع التي تهتم بدراسات الشرق الأوسط داخل الجامعات الأمريكية، ففرع الدراسات الشرقية التابع لجامعة (برنستون) على سبيل المثال... بات خاضعاً تماماً في الوقت الحاضر ليس فقط لسيطرة أشخاص يتعاطفون فكرياً مع الصهيونية وإنما أيضاً لسيطرة مشاركين نشطين في المعركة السياسية الدائرة بين الصهيونية والفلسطينيين»^(١) هـ.

وفي جامعة (هارفارد) مركز متخصص في دراسات الشرق الأوسط، وهي جامعة تتميز بقوة النفوذ الصهيوني فيها^(٢)؛ مما يؤثر في سير دراسات المركز لصالح الهدف الصهيوني. و«الهيمنة الصهيونية على ميدان الفكر الاستشراقي الغربي تبدو واضحة في السيطرة على وسائل الإعلام العالمي... فمعظم المؤسسات الإعلامية الكبيرة في العالم هي إما ملكية كاملة لليهود أو ملكية جزئية مؤثرة»^(٣).

وتهدف الصهيونية «من سيطرتها على الاستشراق [إلى] الحيلولة دون تجمع العرب في وحدة تقاوم الصهيونية وتواجه إسرائيل»^(٤)، بل وتسعى لتفتيت الدول الكبيرة، وتجزئتها وتقسيمها، وتحديد نسل سكانها بوسائل كثيرة.

ويندرج تحت الهدف الصهيوني جهود (راند) في أبحاث تحديد النسل في جمهورية مصر؛ بحيث إن الوصول إلى الحد المطلوب في النسل المصري يحقق أمن الاحتلال اليهودي في فلسطين.

وقد عمل الاستشراق اليهودي بعامة، والصهيوني بخاصة، على تثبيت العنصرية في التعامل مع الدين الإسلامي، ومع العرب والفلسطينيين. واستناداً إلى هذه الفلسفة العنصرية للصهيونية استخدم الاستشراق الصهيوني كل الوسائل غير الأخلاقية في سبيل تحقيق الأهداف الصهيونية

(١) "الاستشراق والصهيونية"، إدوارد سعيد، مجلة المحلة، ع ٤٠٨، ١١-١٧/٤/١٤٠٨ هـ، ص ٢٩.

(٢) بحوث في الاستشراق الأمريكي المعاصر، ص ٣١.

(٣) الاستشراق للزبادي، ص ٩٦.

(٤) الإسلام في وجه التغريب: مخططات التبشير والاستشراق، أنور الجندي، (القاهرة، دار الاعتصام، د.ت)، ٢٦٦.

في فلسطين والعالم العربي. ولا يمكن تبرئة المستشرق اليهودي من كل الأفعال السياسية والعسكرية التي من خلالها مارست الصهيونية كل أشكال العنف والاضطهاد والعداء في التعامل مع العرب والفلسطينيين. فالحقيقة أن المستشرق الصهيوني مارس العمل السياسي والعسكري بصفته صهيونيًا، ولا يمكن عزله عن بقية الصهاينة، ولا عن العقيدة الصهيونية، وبخاصة فيما يتعلق بمسألة كيفية التعامل مع العربي الفلسطيني وقضيته^(١)، بل وكيفية التعامل مع الدول المحيطة بفلسطين ومحتليه، وما يليها من دول، ولا يشطط المرء إن قال: ومع العالم بأجمعه. ومن نماذج ذلك: (برنارد لويس).

«وفي العمل الاستشراقي تنازل المستشرق الصهيوني عن كل الأخلاقيات التي يحتمها الواجب العلمي، فضلاً عن تلك التي يوصي بها الدين اليهودي»^(٢)، مما لم تطاله فيه يد التحريف والتبديل.

و«لا يستبعد المرء أن تستفحل حركة الاستشراق الصهيوني وأن تكون السمة الطاغية على الاستشراق في فترة تأتي قد تطول إذا ما استمرت السيطرة الصهيونية على جميع مرافق الحياة العلمية والاقتصادية السياسية في المجتمع الغربي عمومًا، وفي مجتمع الولايات المتحدة الأمريكية بخاصة بعد تسلمها زمام الحضارة الغربية من أوروبا»^(٣).

سادسًا: الهدف الاقتصادي:

يرى بعض الدارسين لميدان الاستشراق أن هناك دافعًا اقتصاديًا وراء تشجيع الدراسات الاستشراقية، تمثل في رغبة المستعمرين في غزو البلاد الإسلامية اقتصاديًا بهدف الاستيلاء على ثرواتها الطبيعية ومؤسساتها الاقتصادية، وإماتة صناعاتها المحلية، حتى تكون البلاد الإسلامية ميدان استهلاك لما تنتجه الأيدي الغربية؛ فعملوا على تشجيع الدراسات الاستشراقية حتى تكشف لهم عن طابع العقلية العربية والإسلامية وكيفية التعامل معها^(٤).

(١) أزمة الاستشراق الحديث والمعاصر، ص ٢٩٣-٢٩٤.

(٢) المرجع السابق، ص ٢٩٤.

(٣) الاستشراق في الأدبيات العربية، ص ١٠١.

(٤) أجنحة المكر الثلاثة ص ٩٣ ؛ والاستشراق والمستشرقون، ص ١٨.

وبعد أن وجدت الولايات المتحدة الأمريكية أنها تستنفد مواردها الطبيعية الهائلة لإرضاء شهوات شعبها الذي يستهلك أكثر من ثلث الموارد العالمية، قررت العناية بالشرق؛ لتأمين الموارد الأولية الضرورية لصناعتها واقتصادها؛ فسعت الجامعات الأمريكية إلى تخريج فريق من الخبراء، تستعين بهم الشركات المتعددة الجنسيات؛ للاستيلاء على الموارد الطبيعية التي تزخر بها المناطق الشرقية من جهة، وتسويق المنتجات الأمريكية وفتح الأسواق الشرقية أمامها من جهة أخرى^(١).

ضعف الهدف العلمي:

من يستعرض أهداف الاستشراق السابق لا بد له من أن يذكر الهدف العلمي. أما وجود هذا الهدف وقوته في الاستشراق الحديث فقد اختلفت رؤى الباحثين حولها، فمنهم من يرى أن الهدف العلمي ضعف جداً، إن لم يكن انتهى وتوقف. ومنهم من يرى العكس، فالهدف العلمي أصبح سمة الاستشراق الحديث، وأصبح هو المهيمن.

يقول د. الزياي: من منطلق أن الاستشراق الحديث ليس إلا وظيفة سياسية أو اقتصادية يقوم بها المستشرقون لصالح مؤسسات حكومية أو شركات تجارية، فهو وثيق الصلة بالهيمنة التي تمارسها الولايات المتحدة على العالم؛ ومن هذا المنطلق فإن الحديث عن النزعة العلمية تكاد تنعدم في إطار الدراسات الاستشراقية المعاصرة^(٢). ويوافقه د. إسماعيل علي محمد^(٣).

ويخالف د. ساسي الحاج هذا الرأي، فيقول: «إن مرحلة الاستشراق العلمية قد تبلورت بصورة واضحة بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية. وأصبحت هذه الدراسات لا هدف لها إلا تحقيق الأغراض العلمية البحتة. ومع ذلك فإن هذا الحكم لا يؤخذ على إطلاقه... فما زالت المصالح الدولية المتباينة في حاجة إلى إجراء مثل هذه الدراسات التخصصية للمحافظة على

(١) ينظر: نقد الخطاب الاستشراقي ١٥٧/١-١٥٨.

(٢) الاستشراق للزياي، ص ١٠٢.

(٣) الاستشراق بين الحقيقة والتضليل، ص ٥١-٥٤.

المصالح السياسية، والاقتصادية، والتجارية للدول التي تقوم بإجراء وتشجيع هذه الدراسات»^(١). ثم عدد عوامل «ساعدت على اتجاه الدراسات الاستشراقية إلى تحقيق الأغراض العلمية الصرفة»^(٢).

وإذا أراد الباحث أن يرجح أحد الرأيين في حالة دراسته على مؤسسة (راند)، وحصراً في المجال الاستشراقي من أعمالها، فإنه سيرجح القول الأول القائل بضعف الهدف العلمي في الاستشراق الحديث، فقد ثبت لدى الباحث غيابه عن (راند) يقيناً. وهذا الترجيح لا يسري على جميع الاستشراق الأمريكي الحديث، بل هو خاص بـ(راند)، ولا بد من دراسة أكثر النماذج الأمريكية لتعميم الحكم بغياب الهدف العلمي أو ضعفه.

(١) نقد الخطاب الاستشراقي ١/١٥٩.

(٢) المرجع السابق ١/١٦٠.